الموسيقى والغناء في بلاد فارس (دراسة في ضوء الشواهد الفنية)

أ. د. أزهار محسن شذر
الجامعة العراقية / كلية الآداب – قسم التاريخ
E- mail: Azhar.Alshather@gmail.com

الملخص

يتبين لنا من خلال بحثنا الموسيقى والغناء في بلاد فارس (دراسة في ضوء الشواهد الفنية) ان الموسيقى والغناء عدت إحدى مظاهر حضارة بلاد فارس القديمة إذ يعود تأريخها الى عهد الحضارة العيلامية ومروراً بالحضارات الاخمينية والفرثية، والحضارة الساسانية التي مثلت العصر الذهبي للموسيقى والغناء . كان للموسيقى عدة استخدامات منها الدينية والعسكرية وفي الاحتفالات بالاعياد ومجالس الطرب الخاصة بالملوك وعامة الشعب ، التي استخدمت فيها العديد من الآلات الموسيقية مثل البوق والناي والجنك والطنبور والطبل وغيرها من الآلات الموسيقية كلاً حسب نوع المناسبة التي كانت تعزف فيها الالحان ، وقد حظي الموسيقيين والمغنيين بمكانة هامة لدى ملوك بلاد فارس ومنحوا مركز مهم بين طبقات المجتمع الفارسي ، وقد سجل التاريخ الفارسي اسماء أشهر مؤلفي الموسيقى الفارسية القديمة أمثال : نيجيشا وباربد وسرخس .

الكلمات المفتاحية : بلاد فارس ، موسيقى ، غناء

Music And Singing In Persia (A Study In The Light Of Technical Evidence)

Prof. Dr. Azhar Mohsin Shather
University - College of Arts Iraqia
E- mail: Azhar.Alshather@gmail.com

Abstract.

Through our research on music and singing in Persia (a study in the light of artistic evidence), it becomes clear to us that music and singing were considered one of the manifestations of the ancient civilization of Persia, as it dates back to the era of the Elamite civilization, passing through the Achaemenid and Parthian civilizations, and the Sasanian civilization, which represented the golden age of music and singing. Music had several uses, including religious and military, and in celebrations of feasts and rapture councils of kings and the general public, in which many musical instruments were used, such as trumpet, flute, jingo, tambour, drum, and other musical instruments, each according to the type of occasion in which the melodies were played, and musicians and singers had an important place The kings of Persia were granted an important position among the classes of Persian society, and Persian history recorded the names of the most famous authors of ancient Persian music, such as: Negisha, Barbad and Sarkhs.

Keywords: Persia, Music, singing .

المقدمة :

تعتبر الموسيقى نتاج حضاري وثقافي متطور، وان عدها البعض من الكماليات إلا انها لا تقل شأناً وأهمية عن بقية احتياجات الانسان الروحية لان الموسيقى غذاء الروح ، فمنذ العصور القديمة أحتاج الانسان ان يعبر عن مشاعره ، وكان الفن هو خير وسيلة للتعبير عن تلك المشاعر الانسانية فقد عدت الموسيقى أحد الفنون المهمة في محاكاة هذه المشاعر ولهذا أستخدمها الانسان في جميع المناسبات ، ودون التاريخ الدور المهم للموسيقى في جميع الحضارات كما في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل ، والحضارة الاغريقية

، والحضارة الفارسية إذ يعود تاريخ الموسيقى الفارسية الى الآف السنين منذ حضارة عيلام ومروراً ببقية الحضارات التي مرت بها بلاد فارس فقد أنتشرت الموسيقى في المملكة الاخمينية ومن بعدها المملكة الفارسية إلا أنها ازدهرت وبشكل ملحوظ في العصر الساساني الذي يعتبر العصر الذهبي للموسيقى.

شكلت الموسيقى الفارسية العنصر الاساس في الطقوس الدينية لكونها عنصر مهم يقف الى جانب العنصر اللغوي والحركي لمختلف الطقوس والشعائر المقامة في المعابد والاحتفالات الرسمية والاعياد الاجتماعية ، اضافة لما تبثه من روح الحماس ورفع الهمم لشد عزم الجنود المحاربين خلال فترات الحرب ، وقد أهتم ملوك بلاد فارس بالموسيقى واولوها مكانة هامة ومنحوا كبار العازفين من الموسيقيين في البلاط الفارسي مكانة رفيعة بين طبقات المجتمع فظهرت الالحان الغنائية التي ارتبطت بمجالس الطرب فقرب الملوك المغنين والمغنيات (القيان) وصارالغناء وسيلة ترفيهية مصاحبة للموسيقى . ونظراً للدور الذي لعبته الموسيقى في حضارة بلاد فارس فأننا اخترنا هذا الموضوع كعنوان لبحثنا والذي سنحاول الاحاطة به وفق ثلاثة محاور: 1- استخدامات الموسيقى (الطقوس الدينية ، الحرب والاحتفالات بالنصر ، الاحتفالات بالاعياد) ، 2- أهم الآلات الموسيقية التي أنتشرت وأشتهرت في بلاد فارس ، 3- اشهر الموسيقيين في البلاط الفارسي ومكانتهم عند الملوك .

نشأة الموسيقى :

لايختلف اثنان ان قلنا ان الموسيقى ولدت مع الزمن وتمثلت في تغريد الطيور وحفيف الاشجار ، وخرير المياه وكان الانسان الاول يقف منها موقف المحاكي الذي يقتبس ويقلد مستخدماً حنجرته في محاكاة اصوات الطبيعة وما لبث ان استخدم الايدي والارجل وبهذا تكون الحنجرة واليدين والرجلين اقدم الآلات الموسيقية ومع الايام وتطورها احتاج الانسان ان يعبر عن مشاعره فغنى ورقص وابتدع الآلات الموسيقية حتى صارت الموسيقى جزءاً مهماً في حياته في افراحه واحزانه .

نشأت المجتمعات وتطورت وصارت لها طقوسا مختلفة والموسيقى سيدة التعبير في جميع الطقوس ومع توسع التجمعات البشرية وانتشارها في اصقاع الارض واختلاف البيئات اختلفت معها اساليب وادوات التعبير وتجلى ذلك في الموسيقى بشكل اساسي . وبعد ان عرف الانسان الزراعة واستوطن الارض واستقر بها آخذ ينشئ حضارته شيئا فشيئا وصارت التآثيرات تنتقل من مجتمع الى آخر ، وتعد حضارات وادي الرافدين ووادي النيل من اقدم الحضارات الانسانية التي جادت بنورها على الحضارات الاخرى ولعل من أهم المقومات الحضارية الفنون بشتى انواعها ولولا الفنون لما عرفنا الحضارات وان المتتبع لحضارة وادي الرافدين سيعرف الدور الذي لعبه قدماء العراقيين في حقل الموسيقى ونظرياتها ، وآلاتها ، والدرجات الصوتية وابعادها ودوزنة الآلات واكتشاف السلم الموسيقي لها .[1] اما الاغريق فكان للموسيقى في حياتهم اهتماماً كبيراً وهذا ما جاء في ملاحمهم مثل الاوديسة والالياذة بسبب ارتباطها بالشعر وقد اهتموا بالموسيقى كجزء اساسي في بناء القيم الاخلاقية لذلك فقد عدوها من اساسيات التوجيه التعليمي اعتقاداً منهم بان للمقامات الموسيقية تاثيراً في طباع البشر وان الحانهم تكسب الفرد صفات خلقية تعينه على تكوين شخصيته .[2]

اما في بلاد فارس فقد شهدت الموسيقى عناية واهتمام باعتبارها مظهر من مظاهر الترف ، ووسيلة من وسائل بث الحماس في نفوس الجنود ورفع معنوياتهم ، وتاريخ الموسيقى في بلاد فارس يعود الى عهد الحضارة العيلامية ، ثم مع اتساع نطاق الحدود بلاد فارس وضمها لمناطق ذات حضارة عريقة اتسعت الصلات الحضارية والثقافية بينها ، وقد اثرت تلك الصلات بالموسيقى الفارسية فالكثير من الآلات الموسيقية انتقلت الى بلاد فارس من بلاد وادي الرافدين ، وبلاد وادي النيل ومما يؤكد تأثر بلاد فارس بالموسيقى الشرقية ان الاسكندر المقدوني بعد غزوه لبلاد الشرق افتتن بموسيقى الشرق والالات

(1) رشيد ، صبجي انور ، الموسيقى في العراق القديم (بغداد : وزارة الثقافة والاعلام ، 1980) ، ص ص 18- 31.

(2) البستاني ، فؤاد افرام ، قاموس منجد الطلاب ، ط 16(بيروت : دار المشرق ، 1986) ، ص 64.

الموسيقية المستعملة فيها ، وهذا يدل على ان الموسيقى الشرقية كانت اكثر نضجاً وتطوراً من الموسيقى الاغريقية .(3)

لا يمكننا دراسة الموسيقى بمعزل عن الغناء لانهما مكملان لبعضهما الاخر فقد اختلف المؤرخون في تاريخ الموسيقى والغناء لدى الشعوب القديمة فمنهم من قال ان الغناء روحي او ديني الاصل ومنهم من قال بانه غيبي الاصل وغيرهما قال بان الغناء والشعر يؤلفان وحدة كاملة من حيث انهما يشكلان مفهوماً واحداً والرأي الاخر على ما يبدو أخذ على اعتبار ان العرب في العصور القديمة كانوا يطلقون لقب الشاعر على المغني ويطلقون لقب المغني على الشاعر فالغناء هو اصل الشعر وبعده اصبحا تؤأمين يؤلفان نسيجاً واحداً ولا يستغنى احدهما عن الاخر كما ان الغناء ايضاً اصل الموسيقى ، (4) وقد جعل بعض الحكماء الشعر وليداً من الغناء لان الشعوب القديمة كالبابلين والمصريين واليونان والفرس كانت تقرن الشعر بالموسيقى وعرف هذا الشعر بالانشاد وكان الانشاد في المعابد نوعاً من التراتيل الموجهة الى الآلهه كما كان يستخدم في الحروب ولهذا يرأي العلماء ان الموسيقى اولدت الانشاد والانشاد اولد الشعر .(5)

الموسيقى والغناء في بلاد فارس .

يعد فن الموسيقى والغناء عنصراً مهماً في الحضارة الفارسية القديمة ، ومع ان الفرس ظهروا كدولة عسكرية صرفت أغلب اوقاتها في الحروب الا أنهم لم يهملوا شأن الفنون وان كانوا قد اعتمدوا في ذلك على اقوام اخرى واعتمدوا على المغنيين والموسيقيين الاجانب في صناعة آياتهم الفنية ، ومع هذا فقد تميزوا بحس مرهف جعلهم يقدرون الفنون فعشقوا الاشعار واحبوا الغناء والرقص والعزف على مختلف الآلات الموسيقية ، غير انهم كانوا يأنفون الاشتغال بها اذ كانت في نظرهم من حرف المأجورين والمستضعفين . (6)

الموسيقى في بلاد فارس يعود تأريخها إلى عهد حضارة عيلام ومرورًا ببقية الحضارات التي مرت بها بلاد فارس، فيذكر هيرودوت أن الموسيقى كانت منتشرة في العصر الإخميني ، ويذكر ايضاً بأن المغنيين المتجولين كانوا محبوبين في فترة العصر الفرثي الا ان الموسيقى أزدهرت وأصبحت أكثر أنتشاراً في العصر الساساني الذي يعتبر من أكثر العهود التاريخية في بلاد فارس اشراقاً ، حيث تقدمت الموسيقى والفنون الأخرى في هذا العصر الذي اعتبر بمثابة العصر الذهبي للموسيقى. (7)

اولاً : استخدامات الموسيقى .

تعددت استخدامات الموسيقى فكانت مرافقة للاناشيد التي ترتل داخل المعابد في الصلوات الدينية والجنائزية ، كما استخدمت في معسكرات الجند لبث روح الحماس ورفع معنوياتهم وشحذ هممهم على القتال في ساحات الحرب ،واستخدمت الموسيقى الى جانب الغناء المصاحب للرقص في المناسبات الملكية داخل قصور الملوك لاسيما في احتفالات الموائد التي كانت تقام داخل البلاط الفارسي ،هذا فضلاً عن استخدامها في المناسبات الاجتماعية الخاصة بفئات الشعب . وهذا ما سناتي على ذكره .

1- الموسيقى الدينية :

(3) كياني ، محمد علي ، تاريخ الموسيقى في ايران (الكويت ، 2009) ، ص 32.
(4) ناجي ، محمد مرشد ، الغناء اليمني القديم ومشاهيره (عدن: جامعة عدن ، 1983) ص ص 106- 108.
(5) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (بيروت : دار العلم للملايين ، 1969) ، ج9 ، ص ص 124-125.
(6) عصفور ، محمد ابو المحاسن ، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم (بيروت: دار النهضة العربية ، 1987) ص 284.
(7) عكاشة ، ثروت محمود ، الفن الفارسي القديم ، ط 9 (القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، 2012) ، ص 331.

ظهرت الموسيقى في الحضارة الفارسية كأي حضارة اخرى خلال ممارسة الطقوس الدينية فالعلاقة بين الدين والموسيقى تبدو واضحة من خلال ماجاء في التوراة في سفر دانيال **" انت ايها الملك قد اصدرت امراً بان كل انسان يسمع صوت البوق والناي والعود والرباب والسنطير والمزمار وكل انواع العزف يخر ويسجد لتمثال الذهب "**. [8] فعزف الموسيقى خلال تأدية الطقوس الدينية قد يؤثر في انفعالات ومشاعر المتعبد خلال ادائه لطقوسه وبالتالي يكون اكثر صدقاً ووصولاً الى الالهة كما انها تساعد على اضفاء جو خاص يتناسب مع خصوصية المكان والطقوس الدينية وقد تساعد أيضاً في الارتقاء بهم وبطقوسهم الدينية الى الآلهة وطرد الارواح الشريرة ايضاً ففي العهد الاخميني ارتبطت الموسيقى بممارسة الطقوس الدينية من خلال اداء الاناشيد والتراتيل الدينية المسماة بـ (الكات) [9] ، فقد كانت تلقى اناشيد مؤثرة تشتمل على سبعة عشر نشيداً دينياً ، وهذا النشيد كان له لحناً خاصاً ، هذا وان وجود المقاطع المسجعة في الافستا دليل واضح على معرفة الاقوام الآرية بالموسيقى الفارسية .[10]

اما في العهد الفرثي يبدو ان ظهور فن الرقص مع بداية العقيدة "الميثرائية"، والتي هي من إحدى عقائد الامبراطورية الفارسية التي يحتفل فيها الفرس بانتصار إله النور"ميثرا"، حليف إله الخير أهورا مازدا، على إله الظلام "أهيرمن" وفقاً للأساطير القديمة حيث كان الاحتفال بتلك العقيدة يتم بتقديم بعض الرقصات التي يقوم بها الرجال فقط ، ويستخدم في العديد من الطقوس الدينية أيضاً. [11] وهذا ان دل على شيء فانه يدل على وجود الموسيقى اذ لايوجد رقص بدون موسيقى .

وشهدت الموسيقى في العهد الساساني عناية كبيرة فدخلت في طقوسهم الدينية الخاصة بالعبادة الزرادشتية ، ورافقت الالحان ذات الطابع الديني الطقوس الدينية حيث اخذ الساسانيون الموسيقى الدينية من معابد اليهود وأديرة المسيحيين ، فقد عزفت مقاطع موسيقية ذات طبيعة دينية مثل الابتهالات والدعوات وكانت تعزف في الهياكل ومعابد النار في المناسبات المختلفة . [12] ومنها اللحن المسمى (يزدان افريد) أي خلق الله ، الذي عزف لكسرى ابرويز (590- 628 م). [13]

2- الموسيقى الحربية :

استخدمت الموسيقى (الحربية) خلال الحرب لغرض بث الحماس في صفوف الجنود المحاربين ورفع معنوياتهم في ساحات القتال فكان من عادة ملوك بلاد فارس إنشاد الاناشيد ودق الطبول ونفخ الابواق قبل بدء الحرب، لبث الحماس في قلوب الجنود وتتبعها الخطب الحماسية لرفع معنويات الجيش ثم القاء الاراجيز لشد عزم الجنود المحاربين وهممهم. واصبحت عادة الجنود أن يسيروا إلى الحرب وسط دويّ الموسيقى العسكرية وهتافات الناس.[14] ولطالما أكد ملوك بلاد فارس على استعمال الموسيقى لأثارة حماس الجنود وحثهم على القتال وفي هذا الجانب يذكر المؤرخ اليوناني زينفون : **"ان الملك الاخميني كورش الكبير وتجسيداً للتقليد القديم ابتدأ في احدى حملاته الحربية بنشيد وكان جنوده يرددون تبعاً له وبصوت عال ، وبعد انتهاء النشيد كانت طلائع الجيش يسيرون على الطريق بخطوات متساوية ومنظمة**

(8) التوراة ، سفر دانيال (3: 5-6).
(9) الكات: اناشيد تنسب الى النبي زرادشت كان لها لحناً ووزناً خاصاً ، لا تزال اثارها موجودة في معبد زرادشت في مدينة كرمان ، ينظر: غلا مرضا جوادى، موسيقى ايران از أغاز تا امروز، انتشارات همشهرى، چاپ اول، جلد اول (تهران–1380)، ص 4.
(10) غلا مرضا ، المصدر نفسه ، ص 4.
(11) السواح ، فراس،الرحمن والشيطان، ط3(دمشق: دار علاء الدين ،2004م)، ص ص82 - 87.
(12) ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب محمود (بيروت : دار الجبل للطبع والنشر ، 1988م) ، ج 12، ص 277.
(13) الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت 429ه / 1037م) ، تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم (طهران : مكتبة الادي ، 1963) ، ص 696.
(14) عصفور ، معالم حضارات الشرق الادنى القديم ، ص ص 276- 277.

، وان كورش بدأ عند هجومه على العدو بنشيد حربي وكان الجند منسجمين معه " وكانت الغأية من الأناشيد التي يلقيها الملك حث الروح القتالية ورفع المعنويات لدى الجنود. (15)

ذكر هيرودوت ان اشارة الحرب قبل اكتشاف البوق كانت تتم عن طريق اشعال مشاعل من النار يحملها جماعة ويضعونها بين العسكر ولا يضرهم أحد بشيء حتى لو فني العسكر كله إذ كانوا يبقون على شاعلي النيران، وهيرودوت أول من بالغ في الخبر عن فناء الجيش بقوله: **" لم يبق على أحد حتى المشاعلية، وذلك لأن شاعلي النيران كانوا مخصوصين بالمريخ اله الحرب".** (16)

اضافة الى الموسيقى فقد اتبع الملوك والقاده في بلاد فارس ممارسات أخرى تهدف إلى بث روح الحماس والشجاعة في نفوس الجند فقد استعمل المقاتلون الشعر الحماسي في الحروب فقد دون الفردوسي في الشاهنامة كثيراً من شعر الوصف والخيال، إذ نظم الشعر في وصف السلاح الحربي وصفاً جميلاً ومجازياً ووصف الأغاني التي كان يرددها المقاتلون في ساحات القتال قبل خوضهم المعارك أو بعدها استذكاراً لأمجاد اجدادهم ، فضلاً عن الإشادة بقوتهم وشجاعتهم وبيان مدى تأثير اسلحتهم في العدو، مما تركت أثرها في تفاني الجنود في قتالهم.(17)

3- موسيقى الاعياد والمجالس :

ان تقليد عزف الموسيقى خلال الاحتفالات والاعياد العامة واقامة الولائم تقليد معروف في بلاد فارس فأضافة الى ماتضفيه هذه الاعياد من روح البهجة كانت تغنى فيها اغاني الفرح المصاحبة للموسيقى لاسيما في احتفال المهرجان الذي كان يقام بحضور الملك ،(18) وعيد النوروز ومن الالحان التى كانت تغنى في الأعياد الموسمية ولاسيما النوروز اكبر أعياد السنة الحان (نوروز بزرك). (19)

اما الاحتفالات فقد كانت تنظم في بلاط الملك الذي كان يضم عدداً كبيراً من العازفين والمغنيين الذين لم يكونوا من الرجال فقط فقد ضم البلاط الملكي ايضاً عدداً كبيراً من النساء المغنيات والعازفات على القيثارة والناي الذين كان يطلق عليهم (موسار جوي) اي الموسيقيين المتخصصين في العزف على الناي ، ففي الولائم التي كانت تقام في قصر الملك يلاحظ ان محظيات الملك يغنين ويعزفن على القيثارة بصورة منفردة او جماعية اذ كانت الواحدة تغني ويردد خلفها باقي الكورال (الكورس)،(20) فذكر الفردوسي **" ان الموسيقى واغاني النساء الجميلات كانت تلازم المأدب وحفلات الاستقبال الملكي ".** (21)

وقد اعتاد الملوك استدعاء العديد من الفتيات المغنيات من ايونيا ومن كل انحاء اليونان فبعضهن كن مغنيات والاخريات راقصات والبعض وخاصة اللاتي تم اسرهن كن عازفات للناي وعازفات للقيثارة فالملك الفارسي كانت له عازفات مفضلات وليس عازفون مفضلون اذ يذكر المؤرخ بريانت : **" ان هناك**

---

(15) كورش نامه ، مترجم : رضى مشايخى (تهران ، 1393ش) ، ص 87.

(16) تاريخ هيرودوتس الشهير، ترجمة حبيب افندي، (بيروت: مطبعة القديس جاورجيوس، 1886)، مج 1 الفقرة 6، الهامش 1، ص 534.

(17) الفردوسي ،ابو القاسم محمد (ت 411ه/1021م) ،الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البندري، تصحيح وتعليق: عبد الوهاب عزام، ط2، (القاهرة : دار الكتب المصرية،2010) ،ج 1،ص335.

(18) البيروني ، أبو الريحان محمد ابن أحمد (ت440هـ/1048م)، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق : دور سامبو ، (لايبزك ، بلا ، 1923م)، ص ص222-224.

(19) كرستنسن ،آرثر، ايران في عهد الساسانيين ،ترجمة : يحيى الخشاب ،(بيروت : دار النهضة العربية ، 1982م)، ص ص267-268.

(20) بريانت ، بيير ، موسوعة تاريخ الامبراطورية الفارسية من قورش الى الاسكندر (بيروت : الدار العربية للموسوعات ،2012) مج 2 ، ص 618.

(21) الشاهنامة ، ج2، ص 241.

في البلاط الملكي نحو 100 امرأة تكون في حراسته ورعايته، وهن ينمن بالنهار ويستيقظن في الليل ، ويظلن ساهرات بعزفهن على القيثارة ، ويغنين باستمرار". [22]

أكثرمغني القيثارة وعازفات القيثارة والناي والراقصات في بلاط الملك الاخميني ارتحششتا الثاني (404- 358ق.م) هم من اليونان ، هذا اضافة الى الراقصين من الرجال اذ يذكر ان زينو الكريتي كان افضل الراقصين عند الملك .[23]

اظهر الملوك الساسانيون أهتماماً كبيراً بإحياء مجالس الطرب والغناء ، وكانت قصورهم وقاعاتهم الملكية تضم عدداً كبيراً من الموسيقيين والمغنيات لاحياء الحفلات التي تعزف فيها مختلف الألحان ، وكانوا يخصصون مبالغ كبيرة لإقامة تلك المجالس التي تضم المئات من الراقصات والخدم فكانت القاعات الملكية التي تقام فيها مجالس الغناء تفرش بالديباج والحرير ويطيبونها بالروائح الطيبة ويزينوها بأنواع الزهور والرياحين.[24] وكانت تلك المجالس على درجة عالية من التنظيم ، فقد كان الموكل بالستارة (خرم باش) يخرج إلى المجلس يوم جلوس الملك للهو والسمر ويقول للمغنيين والعازفين : **" أنت يا فلان غن كذا وكذا ، واضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طرائق الموسيقى "** وكان المطرب لا يغني إلا على عزف موسيقي من نفس طبقته .[25]

كانت مجالس الموسيقى والغناء تختلف باختلاف طبقات المجتمع ، إذ كانوا يرتدون ازياء خاصة بهذه المجالس كلاً حسب طبقته فاذا كانوا من الاغنياء واصحاب الثروات كانوا يرتدون زياً خاصاً ويتوجون رؤوسهم بأكاليل من الورد ويزينون مجلسهم بالآلات الموسيقية والمغنيات ، في حين تخلوا مجالس الطبقة الفقيرة من تلك المظاهر، [26] ويذكر ان الملك الساساني بهرام جور (521- 539م) كان قد لاحظ تلك الفوارق الطبقية بين مجالس الاغنياء والفقراء فارسل الى ملك الهند يطلب منه ارسال الفين من المغنين والمغنيات المعروفين بـ (النور) اجداد الغجر لتفريقهم في البلاد وعند وصولهم فرقهم على المدن والقرى حتى لا يحرم سواد الناس من الاستمتاع بالموسيقى .[27]

ثانياً : الآلات الموسيقية.

أكدت السجلات التاريخية القديمة على وجود الموسيقى في بلاد فارس ، واقدم هذه السجلات يعود تاريخها الى الالف الخامس قبل الميلاد ، ووفقاً لتلك السجلات فأن أقدم الآلات الموسيقية الموجودة في بلاد فارس هي آلة الهارب والطبل وآلة القوبوز (آلة العشق) والتي يعود تاريخها الى 6000 عام تقريباً. [28]

هناك نوعان من الآلات الموسيقية :

1- **النوع الاول** : يستعمل للحرب، وقد اشار الفردوسي في الشاهنامه إلى بعض منها بأسماء عديدة وجميعها خاصة بالحروب وهي : كوس، النأي، شيپور، زنگ زرين، سنج، جام، بوق، درأي، سرنا.[29] وسميت الآلات الحربية بـ (سبيد مهره) أهم تلك الآلات هي (كوس) التي كان لها أهمية كبيرة للإعلان عن تجمع الجيوش والاستعداد للقتال والهجوم ، والبوق او ما يسمى بناي الحرب والذي كان يستخدم لاعطاء اشارة للجيش بـ التهيؤ والمسير والحركة، وقد تم العثور على بوق حديدي بطول (1,20م) في

(22) موسوعة تاريخ الامبراطورية الفارسية ، مج 2، ص 599.
(23) بريانت ، المصدر نفسه ، مج2، ص 619.
(24) العابد، مفيد رائف ، معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الاكاسرة)، (دمشق: دار الفكر ، 1999م) ، ص ص154-155.
(25) المسعودي، علي بن الحسين بن علي، (ت346هـ/957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت: دار الاندلس للطباعة والنشر، 1965م)،ج1، ص270؛ كرستنسن، ايران، ص464.
(26) الحيدري ، علي هادي حمزة ، الاحوال الاجتماعية في الدولة الساسانية (224-226/ 651 م) ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بابل : كلية التربية ، 2006) ، ص 211.
(27) الفردوسي ، الشاهنامة ، ج2، ص161؛ كرستنس ، ايران ، ص 263.
(28) كياني ، محمد علي ، تاريخ الموسيقى في ايران (الكويت : 2009) ، ص 32.
(29) الفردوسي ، الشاهنامة ، ج1 ، ص 336.

الحفريات التي جرت بالقرب من مقبرة الملك الاخميني ارتحششتا الثالث (359- 338ق.م)، ووضع في متحف جمشيد (اصطخر) ويبلغ قطر فتحته (50 سم)، وقطر الفتحة التي توضع على الفم لغرض النفخ خمسة سنتمترات، ويدعى هذا البوق بـــ (كرنا او كارنأي) بمعنى (نأي الحرب) ويعد من أهم الآلات الموسيقية الحربية. (30)

ومن الآلات الموسيقية التي اشتهرت في العصر الساساني النفير المصنوع من البرونز او النحاس الاصفر كان من اهم الآلات الموسيقية التي تستخدمها الجيوش في الحروب ، ولم يكن النفير الالة العسكرية الوحيدة ، فهناك البوق والطبول التي لعبت دوراً فعالاً في حروبهم ، في سبيل حث وتحريك الجيش والشعب لاجل الدفاع عن وطنهم وصد أعدائهم .(31)

2 - **النوع الثاني للاحتفالات والاعياد :**

يستعمل هذا النوع من الآلات في احياء الاحتفالات والمهرجانات او الموائد الملكية المقامة في البلاط الملكي التي تعزف فيها مختلف الالحان التي تبعث على الفرح والبهجة باستخدام عدة الآت موسيقة خصصت لهكذا مناسبات ، ومنها القوبوز (آلة العشق) التي تعوذ جذورها الى 6000عام تقريباً وقد اختصت النساء في البلاط الملكي بالعزف على هذه الالة وكذلك الناي والقيثارة ، وايضاً الة (الجنك) (32)، التي تعتبر من أقدم الآلات الوترية الموسيقية الفارسية التي انتشرت على نطاق واسع وظهرت في اللوحات الجدارية الفارسية القديمة ، وتعزف هذه الآلة في الاغلب من قبل النساء ، ومن الآلات الأخرى آلة (سه تار) وهي من الآلات الوترية التي تتكون من ثلاث اوتار وكان لها استخدام واسع في بلاد فارس (33).

اما الآلات الموسيقية الخاصة بالاحتفالات في العصر الساساني فكانت منها العود ، والناي، والطنبور، والمزمار، والربابة والطبل ، الجنك ، (34) ويذكر ان الملك الساساني بهرام جور كان مغرماً بسماع العزف بالة الجنك ، فيذكر انه كان دائماً يصطحب عند خروجه للصيد جاريته (ازاذوار) البارعة بالعزف على هذه الآلة، ولشدة حبه وولعه بالموسيقى فقد ذكر انه كان متزوج من ثلاثة أخوات واحدة مغنية والثانية راقصة والثالثة عازفة صنج (35).

وكانت موسيقى الحجرة عند الملوك والامراء تحوي عدد كبيرمن الآلات الموسيقية فهناك نص (لكتاب كسرى وغلامه لأونوالا) ، جاء فيه ذكر الآلات التي احصاها غلام كسرى برويز هي :" **العود العادي [دار] والعود الهندي [فين] والهارب [تشانج] والجيتار [الطنبور] والجيتار الكبير [طنبور ايماس] والقيثارة [كانار] والعود / القيثارة [فين كانار] والناي والمزمار [مار] والتنبالة [تاس] والطبلة الصغيرة [دومبالاج] والدف [تشامبار] والكاسات [زيل]ن ثم الهارب الايولية [اندارافاى] " والآت اخرى تعذر التعرف عليها** (36).

هذا وقد أهتم الساسانيون بصناعة الآلات الموسيقية وصوروها في نقوش الصيد التي وجدت على جدران كهف طاق بستان مصاحبة للرقص وفي مقدمتها القيثارة والمزمار والدف، ونقشوا على الأواني الفضية الآت العود والناي ، وفي متحف طهران يوجد طبق من الفضة نقشت فوقه صورة راقصة تمسك

(30) غلا مرضا، موسيقى ايران ، ص 6.
(31) عكاشة ، الفن الفارسي القديم ، ص 331.
(32) الجنك : بالعربية الصنج ، وهي صحيفة مدورة من النحاس ذات اوتار يضرب عليها فتحدث صوتاً يطرب منه السامعون اذا كان الضارب ماهراً ينظر : الخوارزمي، ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف، (ت 387هـ/997م) ،مفاتيح العلوم، (القاهرة: مطبعة الشرق، 1923م) ،ص 137.
(33) غلا مرضا، موسيقى ايران ، ص 8.
(34) كرستنسن، ايران، ص464؛ الخشاب، يحيى ، التقاء الحضارتين العربية والفارسية ،(القاهرة : المطبعة العالمية ، 1969م) ، ص67.
(35) الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص151 .
(36) عكاشة ، الفن الفارسي القديم ، ص 332.

بالصاجات وسط ثلاث نساء يفصل كلاً منها عن الاخرى صف من القلوب المطعمة يتوسطهن جميعاً طائر وهن ينفخن في الآت من نوع (القرب) ذى خمس أنابيب وهذه الالة هي الاورغن.[37] وهذا يوحى بالبهجة التي كانت تشيع خلال الولائم .(ينظر شكل رقم 1)

مكانة الموسيقى والموسيقيين لدى الملوك:

نال كبار العازفين من الموسيقيين والمغنيين في البلاط الفارسي مكانة هامة ، فقد عد الملك اردشير بن بابك (226- 241م) المغنين والعازفين المهرة فئة اجتماعية ممتازة وهو اول من رتب طبقات المغنيين وذوي الصنعة بالموسيقى فجعلهم ثلاث طبقات : الأولى هي طبقة أهل الحذاقة بالموسيقيات والأغاني ، والطبقة الثانية تليها في المنزلة الفنية والاجادة ، اما الطبقة الثالثة فقد ضمت اصحاب الجنك والمعازف والطنبور، وقد الزم كلاً منهم ضمن طبقته ، وظل هذا التقسيم معمول به الى عهد الملك بهرام جور الذي كان محباً للموسيقى والغناء ، ولاهتمامه بالموسيقى فانه لم يلتزم ذلك التقسيم التزاماً دقيقاً فكان يرفع درجة من أطربه الى الطبقة الاولى حتى وان كان من أوضع الطبقات. الا ان الملك كسرى انو شروان (531-578م) اعاد العمل بالتقسيم الاول اي اعاد مراتب الموسيقيين والمغنيين الى ماكان عليه في عهد الملك اردشيربن بابك. [38]

ومما يذكر عن ولع الملك بهرام جور بالموسيقى والغناء ان وجه الناس بان يقسموا يومهم الى نصفين نصف للعمل والنصف الاخر للاستراحة والتفرغ للاكل والشرب واللهو في مجلس الطرب والغناء ، وقد أدى ذلك الى زيادة الطلب على المغنيين وارتفاع أجورهم التي بلغت ما يقارب مائة درهم يومياً .[39]

عد عصر الملك كسرى ابرويز (590- 628ق.م) العصر الذهبي للموسيقى الساسانية بدليل النقوش التي صورته مسترخياً وسط جواريه الموسيقيات ، وخاصة لوحتى النقش البارز التي وجدت على طاق بستان بالقرب من كرمنشاه والتي مثلت احداهما صيد الغزلان ، اذ ظهرت الموسيقيات في قمتها خلف الملك تمسك اثنتان منهن بآلة النفير وواحدة بالدف ، بينما تعزف بعضهن بالقيثارة وتصفق الباقيات اما النقش البارز الثاني الذي صور صيد الخنازير البرية اذ مثل قارباً بمجاذف غاصاً بالمغنيات وعازفات القيثارة ، تقف احداهن الى جوار الملك .[40] (ينظر شكل رقم 2). ووجدت في كالاردشت آنية للشرب واطباق فضية وذهبية عليها نقوش لراقصات آية في الروعة (ينظر شكل رقم 3) ، وكاس فضية على هيئة قارب نقش عليها الملك خسرو جالساً على عرشه وزينت الكاس براقصات عاريات [41] (ينظر شكل رقم 4 ، ورقم 5)، وقد شكل المطربون والموسيقيون جزءاً مهماً من موكب الملك عند خروجه في رحلة صيد او سفر ، فقد ذكر ان عددهم في موكب كسرى أبرويز كان يصل الى الف بين مطرب وموسيقي.[42]

اشهر الموسيقيين :

انتشرت الفنون الموسيقية بفضل مشاهير الموسيقيين والمطربين الذين ظهروا في تلك الفترة وقد سجل التاريخ الفارسي اسماء العازفين المهرة ومؤلفى الموسيقى منذ عهد الملك كسرى ابرويز ومنهم (نيجيشا) الذي روى عنه شعراء فارس انه فنان مطبوع وذكره نظامى بديوانه (خسرو وشيرين) ، وتألق موسيقيان اخران هما سرخس وباربد وكان سرخس يحتل المكانة الأولى فهو زعيم الموسيقيين في مجالس الطرب الخاصة بالملك كسرى ابرويز ، وكان يخشى منافسة باربد له فعمل على إبعاده بشتى الوسائل فاتفق مع حاجب الملك باخفاء أمر موسيقاه عن الملك إلا أن باربد استطاع أن يسمع صوته للملك فاعجب به وجعله على رأس الموسيقيين في البلاط ، وهذا ما أثار حنق سرخس على باربد حتى دس له السم فقتله [43].

(37) عكاشة ، المصدر نفسه ، ص 312.
(38) عكاشة ، المصدر نفسه ، ص332.
(39) الحيدري ،الاحوال الاجتماعية في الدولة الساسانية (224-226/ 651 م) ، ص 211.
(40) كرستنسن ، ايران ، ص 453؛ عكاشة ، الفن الفارسي القديم ، ص ص 332-333.
(41) عكاشة ، الفن الفارسي القديم ، ص 324.
(42) ندا ، طه ، دراسات في الشاهنامة ، (الاسكندرية: الدار المصرية للطباعة ، 1954م) ، ص 210.
(43) عكاشة ، الفن الفارسي القديم ، ص 333.

ويذكر ان باربد قد الف لكسرى ثلاثون لحناً ، واحد لكل يوم من ايام الشهر (الزردشتي) فكان يغني كل يوم لحناً لمائدة الملك يختلف عن سابقه ،[44] حتى ان كسرى اطلق عليه لقب (رامشكر) اي عازف ومغني بلاط الملك لملازمته البلاط الملكي ومن الحانه المشهورة التي غناها لكسرى ابرويز الدستان (يزدان افريد) اي خلق الله ، ودستان (وبرتوفرخار) اي عظمة فرخار،[45] وهو ايضاً صاحب الالحان التي عرفت (بالكنوز السبع) لكسرى ابرويز ، وكانوا يعدون جواده (شبديز) احد تلك الكنوز ، وقد أحب كسرى ابرويز هذا الجواد لجماله وذكائه ، واقسم أن يقتل كل من يبلغه خبر موته فلما مات ارتعب المسؤول عن الاصطبلات ، وتوسل إلى (باربد) إن يخبر الملك في ثنايا أشعاره ، فغناه شعراً ذكر فيه إن شبدير لا يسعى ولا يرعى ولاينام ، فصرخ ابرويز ويحك هل مات شبذير ؟ فهتف باربد قائلاً من الملك سمعت ، فقال الملك انك أنقذت نفسك ورجلاً آخر.[46]

انتشرت في العصر الساساني الحاناً منها ذات طابع حماسي له علاقة بالتاريخ الاسطوري لبلاد فارس مثل لحن (كين أيرج) اي انتقام ايرج ، ولحن (كين سياوخش) ، والحان أخرى تناولت قوة وثراء الملك كسرى ابرويز مثل لحن (باغ شيرين) اي حديقة شيرين ، ولحن (باغ شهريار) حديقة الملك ،وهناك الحاناً تتحدث عن جمال الطبيعة مثل لحن (ارايشن خورشيد) جمال الشمس ، ولحن (ماه ابهركوهان) اي القمر فوق الجبال .[47]

ومما سبق يتبين لنا ان فنون الموسيقى والغناء شغلت حيزاً كبيراً في حضارة بلاد فارس ، واصبحت تمثل جانباً مهماً من الحياة اليومية في المجتمع الفارسي ، لاستخدامها في الطقوس الدينية ، والحملات العسكرية ، ومجالس الغناء واللهو التي اعتاد الملوك على اقامتها ومن ثم طبقات المجتمع الاخرى .

الاستنتاجات :

1- عدت الموسيقى كنتاج حضاري وثقافي متطور واحد الفنون التي استخدمها الانسان في جميع المناسبات حيث دون التاريخ الدور المهم للموسيقى في جميع الحضارات كالاغريقية وحضارة وادي الرافدين ووادي النيل والحضارة الفارسية كونها عنصر اساس ومهم يقف الى جانب العنصر اللغوي والحركي لمختلف الطقوس والشعائر المقامة في المعابد والاحتفالات الرسمية والاعياد الاجتماعية والمناسبات الحياتية ضمن مواعيدها واوقاتها المحددة.

2- يرجع تاريخ الموسيقى والغناء في بلاد فارس الى عهد حضارة عيلام ، ومرورًا ببقية الحضارات التي مرت من بلاد فارس ،فكانت الموسيقى منتشرة في العصر الإخميني والفرثي ، الا انها ازدهرت في العصر الساساني الذي اعتبر العصر الذهبي للموسيقى لانها بلغت حداً فاصلاً من التطور، بحيث ان بعض اسماء العازفين ومؤلفي الموسيقى ما زالت خالدة في اذهان الايرانيين حتى اليوم مثل: باربد وسرخس .

3- ظهرت الموسيقى في الحضارة الفارسية كأي حضارة اخرى خلال ممارسة الطقوس الدينية ،واستخدمت الموسيقى ايضاً خلال الحرب فكان من عادة الملوك الفرس إنشاد الاناشيد ودق الطبول ونفخ الابواق قبل بدء الحرب لبث الحماس في قلوب الجنود وتتبعها الخطب الحماسية لرفع معنويات الجيش، واستخدمت كذلك في الاحتفالات والاعياد والولائم الملكية.

4- تنوعت الآلات الموسيقية في بلاد فارس فأقدم الآلات الموسيقية التي عرفت في بلاد فارس هي آلة الهارب والطبل واله القوبوز (الة العشق) التي تعود جذورها الى 6000عام تقريباً.

---

(44) عكاشة ، المصدر نفسه ، ص 334.في حين ذكرها الفردوسي (360) لحناً على عدد ايام السنة ينظر : الشاهنامة ، ج2 ، ص ص222-223.

(45) كرستنسن ، ايران ، ص 466.

(46) عكاشة ، الفن الفارسي القديم ، ص 334.

(47) كرستنس ، ايران ، ص ص 467-468.

5- مثلت الموسيقى عنصراً اساسياً في العصرالساساني فقد اعتبر بمثابة العصرالذهبي للموسيقى حيث تقدمت الموسيقى والفنون الاخرى لاسيما في عهد الملك الساساني كسرى ابرويز وهذا النوع من الفنون شهد عناية واهتمام فدخلت الموسيقى في طقوسهم الدينية ، ومجالس آنسهم فكان الساسانيون يجدون في الموسيقى عوناً لهم في شؤون الحياة المختلفة .

6- نال كبار العازفين من الموسيقيين والمغنيين في البلاط الفارسي مكانة هامة ، فقد عد الملك اردشير بن بابك المغنين والعازفين المهرة فئة اجتماعية ممتازة ،وكان الملك ا بهرام جور هاوياً للموسيقى ، حيث منح الموسيقيين مركز اسمى بين طبقات المجتمع .

7- انتشرت الفنون الموسيقية بفضل مشاهير الموسيقيين والمغنيين الذين ظهروا في في بلاد فارس كان من اشهر اسماء العازفين المهرة ومؤلفى الموسيقى في عهد الملك كسرى ابرويز ومنهم (نيجيشا) الذي روى عنه شعراء فارس انه فنان مطبوع وذكره نظامى بديوانه (خسرو وشيرين)، وتألق موسيقيان اخران هما سرخس وباربد ، وكان سرخس يحتل المكانة الاولى فهو زعيم الموسيقين في مجالس الطرب الخاصة بـ الملك كسرى ابرويز.

الاشكال

(شكل رقم 1)
طبق من الفضة مزين بنقوش اربع موسيقيات يفصل كل منهن عن الاخرى صف من القلوب المطعمة .عن عكاشة ، الفن الفارسي القديم ، ص 340.

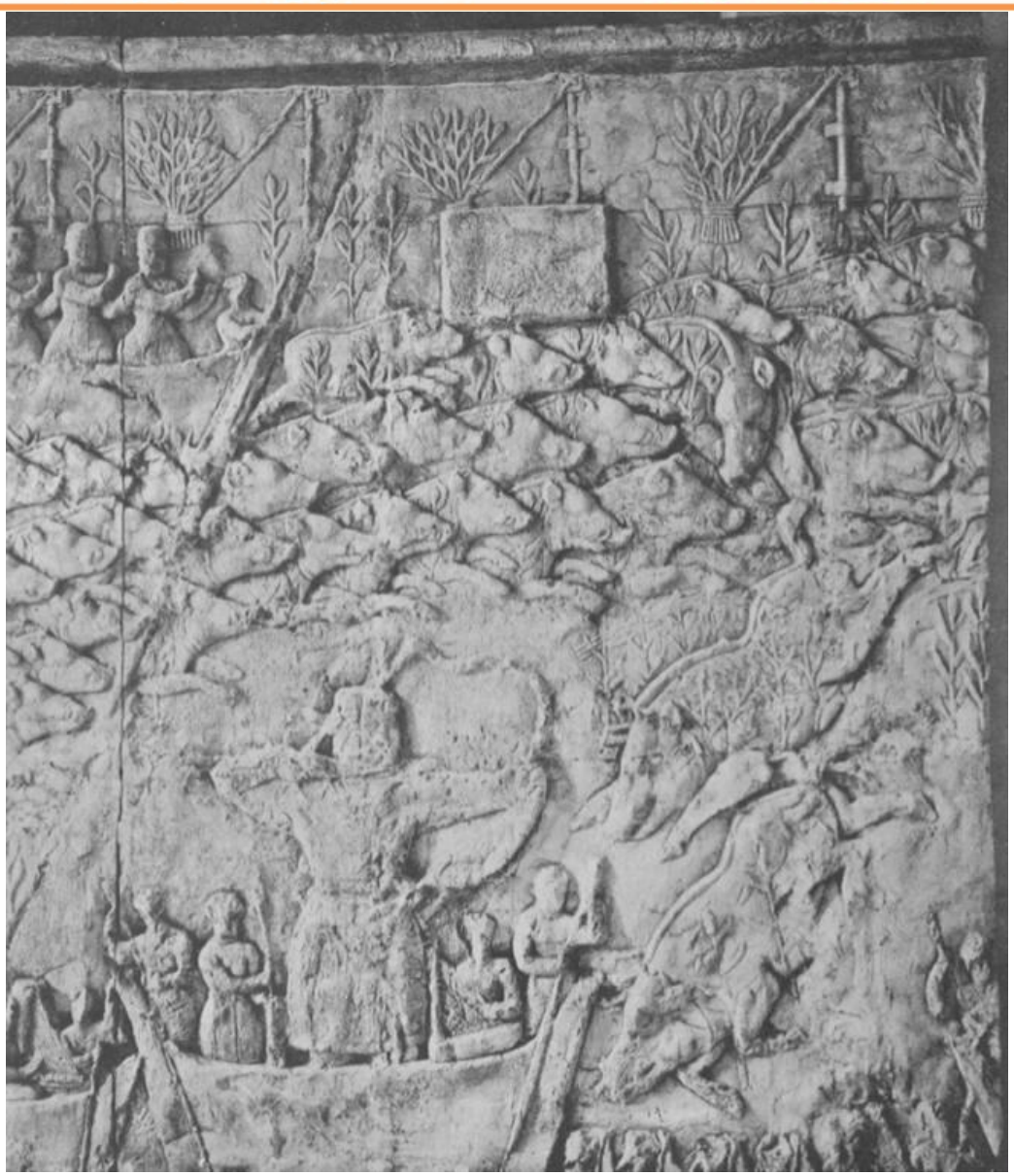

(شكل رقم 2)
مشهد يصور الملك كسرى ابرويز يصيد الخنازير البرية وحوله الموسيقيات في قارب ، عن : عكاشة ، الفن الفارسي القديم ، ص328.

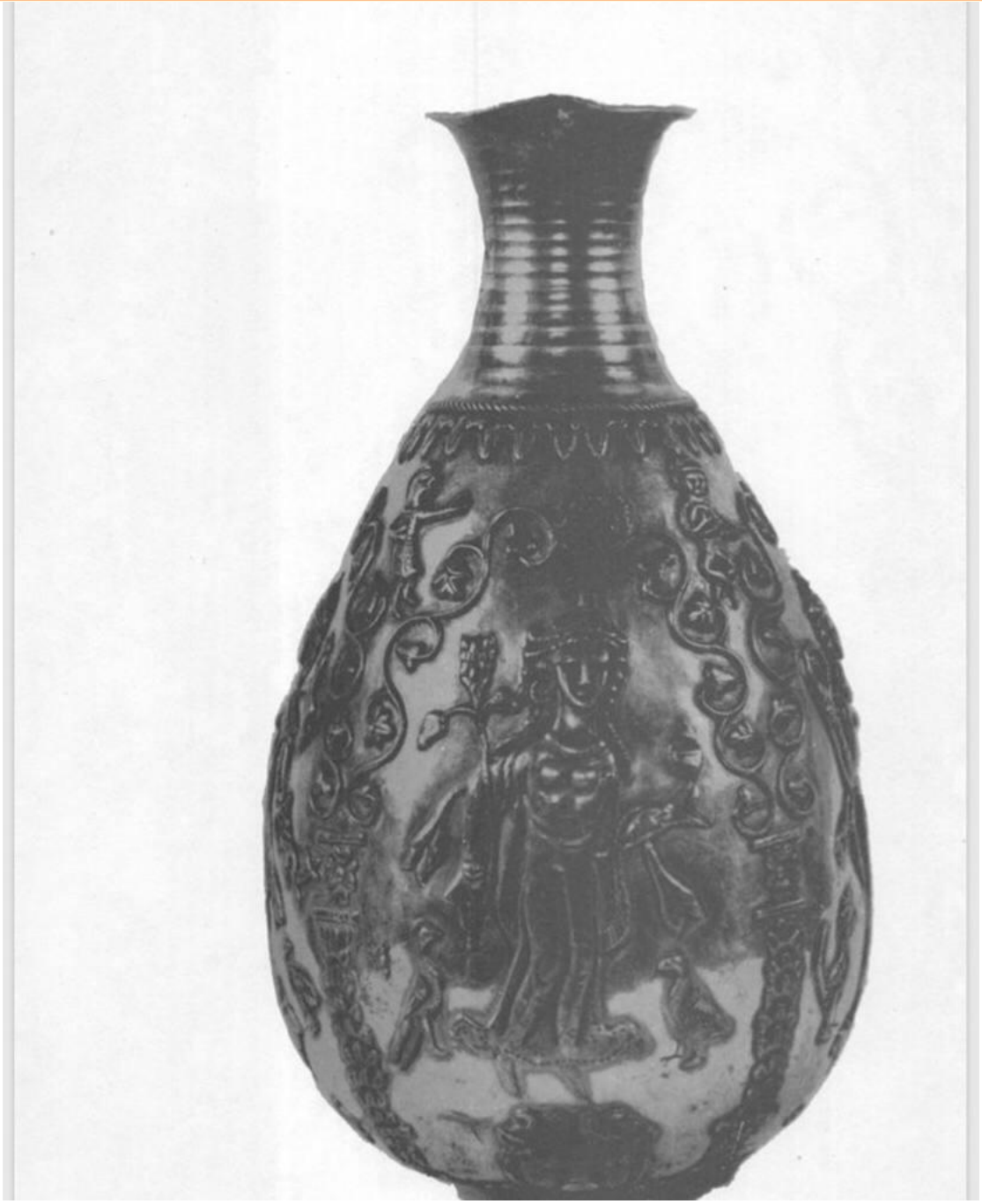

(شكل رقم 3)
من كالاردشت آنية للشرب مزينة براقصات أية في الروعة ، عن . عكاشة ، الفن الفارسي القديم ، ص 361.

(شكل رقم 4)

كأس من الفضة على شكل قارب عليه نقوش للملك كسرى ابرويز اثناء وليمة جالساً على عرشه ومن حوله المغنيين والقيان ، عن . عكاشة ، الفن الفارسي القديم ، ص 360.

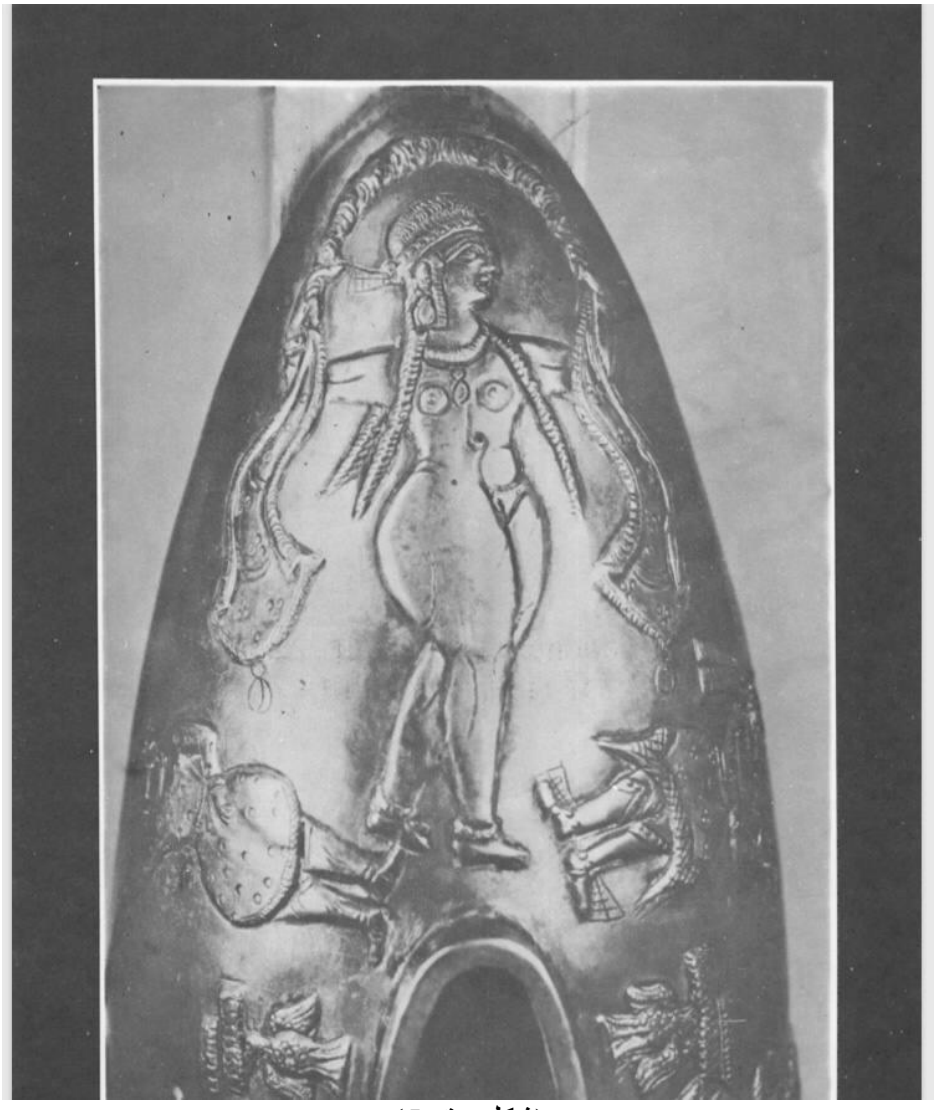

(شكل رقم 5)

أحدى الراقصات العاريات اللاتي يرقصن امام الملك كسرى ابرويز ، عن عكاشة ، الفن الفارسي القديم ، ص361.

قائمة المصادروالمراجع :

1. كتاب العهد القديم (التوراة) ، (بيروت : دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط للنشر).
2. بريانت ، بيير ، موسوعة تاريخ الامبراطورية الفارسية من قورش الى الاسكندر (بيروت : الدار العربية للموسوعات ،2012)
3. البستاني ، فؤاد افرام ، قاموس منجد الطلاب ، ط 16(بيروت : دار المشرق ، 1986) ، ص
4. البيروني ، أبو الريحان محمد ابن أحمد (ت440هـ/1048م)، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق : دور ساميو ، (لايبزك ، بلا ، 1923م).
5. تاريخ هيرودوتس الشهير، ترجمة حبيب افندي، (بيروت: مطبعة القديس جاورجيوس، 1886).
6. الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت 429ه / 1037م) ، تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم (طهران : مكتبة الادي ، 1963).
7. الحيدري ، علي هادي حمزة ، الاحوال الاجتماعية في الدولة الساسانية (224-226/ 651 م) ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بابل : كلية التربية ، 2006).
8. الخشاب، يحيى ، التقاء الحضارتين العربية والفارسية ،(القاهرة : المطبعة العالمية ، 1969م)
9. الخوارزمي، ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف، (ت 387هـ/997م) ،مفاتيح العلوم، (القاهرة: مطبعة الشرق، 1923م).
10. ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب محمود (بيروت : دار الجبل للطبع والنشر ، 1988م).
11. رشيد ، صبجي انور ، الموسيقى في العراق القديم (بغداد : وزارة الثقافة والاعلام ، 1980).
12. السواح ، فراس،الرحمن والشيطان، ط3(دمشق: دار علاء الدين ،2004م).
13. العابد، مفيد رائف ، معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الاكاسرة)، (دمشق: دار الفكر ، 1999م) .
14. عصفور ، محمد ابو المحاسن ، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم (بيروت: دار النهضة العربية ، 1987).
15. عكاشة ، ثروت محمود ، الفن الفارسي القديم ، ط 9 (القاهرة : المجلسس الاعلى للثقافة ، 2012) .
16. علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (بيروت : دار العلم للملايين ، 1969) .
17. غلا مرضا جوادى، موسيقى ايران از أغاز تا امروز، انتشارات همشهرى، چاپ اول، جلد اول (تهران–1380).
18. الفردوسي ،ابو القاسم محمد (ت 411ه/1021م) ،الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البندري، تصحيح وتعليق: عبد الوهاب عزام، ط2، (القاهرة : دار الكتب المصرية،2010) .
19. كرستنسن ،آرثر، ايران في عهد الساسانيين ،ترجمة : يحيى الخشاب ،(بيروت : دار النهضة العربية ، 1982م).
20. كورش نامه ، مترجم : رضى مشايخى (تهران ، 1393ش).
21. كياني ، محمد علي ، تاريخ الموسيقى في ايران (الكويت ، 2009) .
22. المسعودي، علي بن الحسين بن علي، (ت346هـ/957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت: دار الاندلس للطباعة والنشر، 1965م).
23. ناجي ، محمد مرشد ، الغناء اليمني القديم ومشاهيره (عدن: جامعة عدن ، 1983) .
24. ندا ، طه ، دراسات في الشاهنامة ، (الاسكندرية: الدار المصرية للطباعة ، 1954م).